وهو ما دفعنا في البداية إلى ضم الجميع إلى مجموعة واحدة باعتبار دلالة الرجاء داخلةً في سياق موضوعي واحد وهي الخوف، على الأرجح، إذ تأتي بعد جملة الرجاء في أكثرها مؤشرات دلالية تدفعنا إلى ترجيح هذا الوجه، وهذا تفصيلها:

قوله تعالى:

﴿فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون﴾[1] الطغيان يعميهم عن الخوف الواجب لله تعالى، يصعب تصور اجتماع الطغيان مع الشعور بالخوف، إذ إنهما ضدان ونقيضان يحول أحدهما دون وجود الآخر ولا تتسع النفس البشرية لهما معًا وهذا مناط قوله ﴿يعمهون﴾ فالعمى تعبير عن احتلال الطغيان قلوبهم مما يعجزها عن استيعاب الشعور المضاد.

قوله تعالى:

﴿قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أوبدِّله، قل ما يكون لي أن أبدِّله من تلقاء نفسي إن أتبع إلا ما يوحى إليَّ إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يومٍ عظيم﴾[2].

الحوار بين الكافرين ورسول الله صلى الله عليه وسلم؛ طلبوا منه أن يبدل ما جاء به، ولم يشر إليهم بلفظ الكافرين، بل بوصفهم ﴿الذين لا يرجون لقاءنا﴾ فما دلالة هذا الوصف وأي جانب من عقيدتهم يُبرز؟ إنكار البعث أم عدم الرغبة في مواجهة الحق سبحانه أم عدم الخوف من جلال هذا اللقاء؟

ورفض محمَّد صلى الله ليه وسلم طلبهم ﴿ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي﴾، وكان تبرير الرفض هو خوفه من عذاب الآخرة ﴿إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يومٍ عظيم﴾.

الرفض جاء في مقابلة الطلب، وخوف الرسول صلى الله عليه وسلم عذاب الله جاء مفسرًا دلالة لفظ الرجاء، بالخوف أيضًا، فكما كان الدافع للرفض هو الخوف، كان انعدام الدافع (الخوف) هو الباعث على الطلب، وهكذا اكتملت أركان المقابلة ليكون بين أيدينا:

باعث ← طلب رفض ← دافع

باعث على الطلب، هذا الباعث هو وصفهم بأنهم ﴿لا يرجون لقاءنا﴾ ويقوم في

(١) يونس: ١١. (٢) يونس: ١٥.